القصدية وبناء النص في الموروث النقدي العربي

Intent-Content and Text Building in the Arabic Heritage of Criticism

*د.سعاد نكاع

جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم(الجزائر)، souad.nekkaa@univ-mosta.dz

تاريخ الاستلام: 2019/11/01 تاريخ القبول: 2020/10/07 تاريخ النشر: 2020/12/24

ملخص: ممّا لا يعزب عن باحث، أنّ علماءَ العربية قديما قد اهتّموا بالنّص وطرق بنائه على المستويين: البنيّة السّطحيّة والبنيّة العميقة، موجّهين ملاحظاتهم إلى المؤلّف/المتكلّم(النّاص) في توجّب توخيه الطرق المثلى من أجل إخراج عمله الأدبي في أبهى حلّة، لافتين بذلك عنايتهم بالمتلقّي.

إنّ الغاية الّتي نبغي الوقوف عندها من خلال هذا العمل هو السّعي للتّأسيس النّظري والضبط المنهاجي لتعاملات علمائنا التّراثيين في نقاشاتهم حول العناصر المشاركة في خلق العمليّة الإبداعيّة الّتي على أساسها عرفت البلاغة على أنّها تعبير عن المعنى الكامن في النّفس ليتمكن من الغرض المقصود، وهنا إقرار على أنّ الغاية من الكلام إحداث التّواصل والّذي قوامه: النّص، والمؤلّف، والمتلقّي، والقصديّة ما هي إلّا رؤى الكاتب حول النّص ومتلقّيه، والمقبوليّة هي موقف يصدر من المتلقّي سلبا أو إيجابا.

كلمات مفتاحية: النّاص، المتلقّي، النّص، الخطاب، القصديّة والمقبوليّة.

Abstract:

Ancient Arabic scientists have been interested in the text and methods of construction at the levels of: surface structure and deep structure, directing their observations to the authors in order to look for the best ways to produce their literary work in the most proper Hla, thus giving their attention to the recipient.

The purpose of this research paper is to seek the theoretical foundation and systematic control of the dealings of our conventional scholars in their discussions about the elements involved in creating the creative process as the expression, and this is an acknowledgment that the purpose of speech is the creation of communication, which is composed of: the text, the author, the recipient, and the intention is only the vision of the writer about the text and its recipients, and the A state is a position issued by the recipient either negatively or positively.

Keywords: Author, recipient, text, speech, intention and admissibility.

***المؤلف المرسل**: سعاد نكاع ، **الإيميل**: souad.nekkaa@univ-mosta.dz

1.مقدمة:

ترتبط كلّ من معايير النّصيّة الثّلاث: القصديّة، والمقبوليّة، والإعلاميّة ارتباطا تامّا بالمؤلّف والنّص وحالة متلقّيه، فالكتابة والقراءة وجهان لعملة واحدة، ذلك أنّ القراءة كتابة ثانية للنّص أو هي إعادة صياغته وتركيبه وفق رؤى القارئ، والكتابة قراءة ولكن بطريقة أخرى[1]، فهي متعلقة بأفكار المؤلّف ومرجعياته، والّتي يبلورها إلى عمل إبداعي يتجسّد كيانه الفعلي عن طريق فعل الكتابة.

وفقا لهذه الثّلاثيّة المؤسّسة ينبني التّفاعل بين عناصر التّواصل الثّلاثة: الكاتب والقارئ والنّص، ويمكن على أساس ذلك أن نعتبر(النّص الدّليل المرئي للتّفاعل المستقّل والهادف لدرجة ما بين كاتب واحد أو أكثر مع قارئ واحد أو أكثر من قارئ، وفيه يتحكّم الكُتّاب بالتّفاعل اللّغوي ويقدّمون معظم المادّة اللّغوية)[2]، والّتي تخلق فيما بعد قناة تواصل بين مجموع القرّاء وأفكار الكاتب.

على الرّغم من أنّ "رولان بارث"Roland Barthes يرفض حصر النّص في الزّاوية الضيّقة كونه يؤدّي الوظيفة الاتّصالية، بل(يمكن لنا أن نصف العمل أو النّص الأدبي بأنه رسالة تؤكّد على ذاتها. وأعتقد أنّ هذا التّعريف يتيح لنا أن نفهم كيف أنّ الأدب قضيّة لا تنحصر بالوظيفة التّواصليّة)[3]. فانطلاقا من هذا التّأسيس جعل "محمد مفتاح" وظائف النّص متمثّلة في كلّ من "الإبلاغ" و"الانفعال" و"التّواصل"، على شرط إذا غُيّبت إحدى هذه الوظائف فقد النّص الأدبي أدبيّته[4]، إذن فالنّص ليس مجرّد قناة تواصل أو إبلاغ هو أسمى من أن يكون وسيلة وإنّما هو بحدّ ذاته هدف وغاية.

وعليه، يكون النّص متعلّقا بعمليتين: العمليّة الإنتاجيّة للمؤلّف والعمليّة التّأويليّة الخاصّة بالقارئ، فهذه الأخيرة تسنح للقارئ بأن يعيد بناء النّص(وفقا لقواعد نظامه الّتي يتشكّل بها وليس وفقا لاعتبار من الاعتبارات الشّخصيّة والاستهلاكيّة الّتي يريد النّاقد أن يدلّ بها على الكاتب)[5]، فالنّص وبعد إنتاجه لم يعد ملكا للكاتب، كما أنّ قارئ اليوم ليس هو قارئ الأمس، فهذا الأخير صار أكثر وعيا بالعمل الفنّي الّذي يقوم به. فالكشف عن علامات الكتابة النّصوصيّة لا بدّ لها من منتهى يصل إليه الكاتب والمتلقي. فإذا كان المعنى في بطن الشاعر كما قيل قبل ظهور النظريات النقدية الجديدة، فإن المعنى صار حديثا في بطن المتلقي. فكيف يصير النّص بعد هذا الانعكاس بين هذه الأدوار وفق المخطّط القرائي التّراثي العربي؟ وما هي محدّدات فعل القصد والتّقبل عند نقادنا البلاغيين؟ وكيف يتحقّق مبدأ الإعلاميّة وفق الرؤى العربية التّراثيّة؟ .

2. النّص بين قصديّة المؤلف والوعي بالمتلقي:

تنبو دراسات التّراثيين وتحليلاتهم عن وعيهم الثّاقب حول الكيفيات والطرق الّتي يتشكّل بها الخطاب من ذلك رؤى الكاتب ومقاصده والّتي تعتبر الموجّه الأساسي لأفكار المتلقي، ذلك أنّ الكاتب وعند شروعه في فعل الكتابة لا بدّ له أن يضع في مخيّلته قارئا معيّنا يخاطبه ويحاوره حتّى يتمكّن من استنسال أفكاره، (فالمؤلّف ينتج النّص ويكون مسؤولا عمّا يحمله هذا النّص من أهداف وغايات. أمّا الجمهور فهم القرّاء المستهدفون*، وهم الأشخاص المتخيّلون الّذين يخاطبهم الكاتب ويجيب عن تساؤلاتهم)[6] .

لقد ارتبطت آراء العلماء القدامى بعمليّة التّفاعل أو التّبليغ الّتي تتضمّنها النّصوص الأدبيّة جاعلين الدّافع الرّئيس لهذه العمليّة مقاصد الكاتب نفسه* والّتي تقف خلف كلّ عمل إبداعي. وما نلحظه حول الاستخدامات الاصطلاحيّة التّراثيّة في التعبير عن ظاهرة القصد أنّها تشهد تنوّعا ليس من قبيل الاختلاف وإنّما هو ثراء اصطلاحي فمن الغرض إلى الحاجة، إلى المراد أحيانا وأحيانا أخرى يعبّرون بالفائدة.

1.2- البنى النّصيّة وقصدية المؤلف عند النقاد العرب القدامى:

إنّ اهتمام علمائنا قديما بالنّص الأدبي لم يتوقّف عند حدود البنى التّركيبيّة فيما يتعلّق بحسن التّأليف، وسلامة الأداء، وصحّة التّركيب، بل تعدّى الأمر ذلك ليرتبط بمقاصد المتكلّم وغاياته وقدرته على بناء قناة تواصليّة يوصل من خلالها أفكاره ورؤاه للمتلقّي، فكثيرا ما ارتبط تعريف البلاغة لديهم بقدرة المتكلّم على الإفهام في فكرة كثيرة الدّور في المدوّنات التّراثيّة على أنّ كل من أفهمك حاجته فهو بليغ[7].

إنّ المستقري للمدوّنات التّراثيّة كثيرا ما تسترعي انتباهه اِلتفاتات علمائنا القدامى لمعيار القصد والّتي تتفق إلى حدّ بعيد مع ما توصّلت إليه لسانيات النّص في هذا الشّأن، ولقد كانت لنا وقفة مع أصحاب اللغة، خاصة "ابن جنّي" (322هـ) الّذي

جعل التّعبير عن المقاصد مرتكزا في تعريف اللّغة، فيصرّح بذلك قائلا:(هي أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم)[8]، في حين يذهب "ابن فارس"(395هـ) بالمقاصد أيّما مذهب فيقول:(المعنى هو القصد)[9]، وبذلك فهو يختلف عن غيره من الدّارسين إذ جعل المعنى مساويا للقصد، فالألفاظ جامدة تكتسي حركيّتها باتفاقها مع المعاني / المقاصد في نظر "ابن فارس" أي أنّ اللّفظ يكتسي دلالته بقصد من المؤلّف/ المتكلّم، معنى ذلك أنّ الألفاظ وضعت من أجل الوصول إلى معان معيّنة، فكانت وسيلة لإدراكها، لذلك كان المعنى هو القصد وعلى هذا الأساس تختلف المعاني وتتفاوت بحسب العلاقة بين الدّلالة الحرفية للألفاظ وبين ولوجها الخطاب ضمن أفاق القصديّة.

1.1.2- "أبو عثمان بن بحر الجاحظ" (255هـ):

تدعيما لما أوردناه سابقا، نوجه العناية لقول الجاحظ في تعريفه للبيان والّذي يقول فيه:(البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتّى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كانذلك البيان؛ لأنّ مدار الأمر والغاية الّتي يجري القائل والسامع، إنّما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع)[10]، يمكن لنا أن نتبيّن من القول السّابق ذكره أربعة عناصر تتأسّس وفقهم العمليّة التواصليّة وهي: المعنى، القائل والسّامع، الأمر والغاية، ثمّ الفهم والإفهام، فالغاية الّتي يسعى لها القائل في نظر الجاحظ هي إيصال المعنى للسّامع وتحقّق فعل الفهم والإفهام، على أن تبقى المزيّة محفوظة في نظره للمُفهِم على المتفهّم.

وليس ببعيد عمّا تقدّم ذكره، يورد "الجاحظ" أيضا قولا "لجعفر بن يحي" يعرّف فيه البيان قائلا:(أن يكون الاسم يحيط بمعناك، ويجلي عن مغزاك)[11]، فمعنى "يجلّي عن مغزاك": يظهر قصدك ويبيّن غايتك من خلال الكشف عن بنات الأفكار حتّى يقف المتلقي على مراد الكاتب من خلال تتبع المعاني، فالغاية من الكلام حصول الفائدة وتحقّق فعل التّواصل بين المتكلّم والسّامع.

لا ينفكّ الجاحظ يولي عناية بقصديّة المبدع لما لها من كبير الأثر في إحكام صنعة النّص وطرق بنائه، فلا يمكن أن يتحقّق أيّ فعل في الوجود دونما هدف أو قصد يحرّكه وفي هذا الصّدد يقول الجاحظ:(ولو أنّ رجلا من الباعة صاح: من يشتري باذنجان؟ لقد كان تكلّم بكلام في وزن مستفعلن مفعولات، وكيف يكون هذا شعرا، وصاحبه لم يقصد إلى الشّعر؟ومثل هذا المقدار من الوزن قد تهيّأ في جميع الكلام. وإذا جاء بالمقدار الّذي يعلم أنّه نتاج الشّعر، والمعرفة بالأوزان والقصد إليها كان ذلك شعرا)[12]. مفاد الأمر أنّ المقاصد محرّكة للمعاني مفاتيح للأقوال ومنبع التّفريق بين الشّعر والنّثر، دافعة المستقبل لأن يمعن النّظر في النّص الملقى إليه حتّى يستخرج كنهه ويفهم مغزاه.

2.1.2- "قدامة بن جعفر" (322هـ) و"أبو هلال العسكري" (395هـ):

نجد "قدامة بن جعفر" في رؤاه نحو فعل القصديّة يخالف ما قدّمه "ابن فارس"، فيقول في باب المعاني الدّال عليها الشّعر:(جماع الوصف لذلك أن يكون المعنى مواجها للغرض المقصود، غير عادل عن الأمر المطلوب)[13]، فالشّرعة والمنهاج في إنشاء القول أن يتبع المعنى الغرض المنشود الّذي يضعه الكاتب/المؤلف نصب عينه على خط أفقي يلتقي فيه مع آفاق المتلقي وتوقّعاته.

من هذا المنطلق يمكن لنا أنّ نعدّ القصد لبّ العمليّة التّواصليّة في استعمال اللّغةمن جهة المؤلّف وتأويلها، فهي تعمل على بلورة المعنى كما هو عند المرسِل الّذي عليه إيجاد كيفيّة التّعبير عن قصده واختيار الآليات المناسبة لنقله، ووفقا لذلك نجد

"قدامة بن جعفر" وفي تعريفه للمبالغة يقف قائلا:(وهي أن يذكر الشّاعر حالا من الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الّذي قصده، فلا يقف حتّى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ في ما قصد، وذلك مثل قول عمير بن الأيهم التّغلبي:

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا ***** وَنُتْبِعُهُ الكَرَامَةَ حيْثُ سَارَا

فإكرامهم للجار ما كان فيهم من الأخلاق الجميلة الموصوفة، واتباعهم الكرامة حيثكان من المبالغة في الجميل)[14]، فعلى الرّغم من أنّ صدر البيت أتى على المعنى كاملادالّا على حسن الكرم إلّا أنّ مقصد الشّاعر لم يتوقف عند هذا الحدّ، لذلك أردفه بمعنى آخر مؤكّدا للمعنى الأوّل وهذا ضرب من المبالغة يتوافق وغاية الشّاعر في بلوغ غاياته من التّعبير.

عملا بالاستراتيجيّة المنوطة بكيفيّة بناء الخطاب وفق المنظور التّراثي وجب على الشّاعر(إذا أراد بناء قصيدة مخّض المعنى الّذي يريد بناء الشّعر عليه في فكره نثرا)[15]، إذ لم يخلق الشّعر من العدم وإنّما هو مجموع من الأفكار يجمعها قصد المؤلّف ليتشكّل له معنى واضحا يقوم بوضعه في قوالب شعريّة، ووفق هذا المنطلق تكمن حذاقة الصّانع في أن يلعب بتصاريف الكلام على الوجه الّذي يبغي، وكأنّ اللغة لعبة شطرنج والكلمات بيادقها على حدّ تعبير "دو سوسيير"، بحيث يلجأ إلى رسم مخطّط للطرق الّتي تسنح له بتحقيق غاياته مستعينا بكلّ وسائل اللّغة المتاحة، فمدار الأمر يكمن في(قوّة الصّائغ أن يأتي مرّة بالجزل، وأخرى بالسّهل، فيلين إذا شاء، ويشتدّ إذا أراد)[16].انطلاقا ممّا ورد في القول نفهم بأنّ اللّغة كعنصر أساسي في عمليّة التفاعل والتواصل بين المرسل والمرسل إليه ما هي إلّا بنية هلاميّة يتصرّف فيها المؤلّف وفقا لغاياته ومقاصده.

كما سبق الذكر، فإنّ من البلاغيين من يربطون البلاغة بالأغراض من أجل تحقّق فعل التواصل بين المؤلّف/المتكلّم والمتلقي/السّامع، من ذلك قول العسكري:(إنّ الببغاء يسمّى فصيحا، ولا يسمّى بليغا، إذ هو مقيم الحروف وليس له قصد إلى المعنى الّذي يؤديه)[17]، فالحيوان قد يشترك مع الإنسان في إنتاج الخطابات ولكن تبقى القصديّة العلامة الفارقة بين الاثنين فالنّتاج اللّغوي للإنسان العاقل هو حصول فعل التّواصل.

3.1.2- "أبو بكر الباقلاني" (ت 403هـ):

إذا ما تصفحنا مدونة"الباقلاني" إعجاز القرآن، نجد أنّ الإمام على وعي كامل بحقيقة هذا الغرض ومدى فاعليته في توجيه إنتاج النّص، فالغاية من البلاغة عنده:(الإبانة في الإبلاغ عن ذات النفس على أحسن معنى وأجزل لفظ، وبلوغ الغاية في المقصود بالكلام)[18]، يتقاطع قول "الباقلاني" هاهنا مع قول "دي بوجراند"، فعندما تحصل الإبانة عمّا في النفس يستدعي ذلك أن يكون هذا في صورة معينة، تتجسّد من خلالها قصدية المتكلم في أن يكون قوله على أحسن معنى وأجزل لفظ(الاتساق والانسجام)، وبهذا تتحقق الغاية المرجوة من الكلام. في القول السابق ذكره يتضّح أنّ النّاقد البلاغي ربط القصد بالبلاغة إلّا أنّه في موطن آخر يبيّن أنّ غاية الكلام عامّة هي الإبانة عن المقاصد، فيقول:(الكلام موضوع للإبانة عن الأغراض الّتي في النّفوس، وإذا كان كذلك وجب أن يتخيّر من اللّفظ ما كان أقرب إلى الدلالة على المراد، وأوضح في الإبانة عن المطلوب)[19].

نوافيه في موضع آخر يدلي بدلوه في ذات الموضوع مناقشا الغاية والمقصد معتمدا في توضيح رؤاه بربط فعل القصد بقول الشعر فقط دون غيره من الأقوال الأخرى، ولكن ما يصدق على الجزء يصدق على الكل وما يهمّنا من وراء تتبع أقواله تجسُّد النظرة واضحة لديه، من ثمّ فهو يجعل لقائل الشعر قصدا لإنشاد الشّعر، و لا يمكن أن نقول على نصّ ما أنّه نصّ شعري دونما

أن ندرك غاية المتكلم بأنّه كان يرمي إلى قول الشعر،فيقول:(إنّ الشعر إنّما يطلق، متى قصد القاصد إليه- على الطريق الذي يعتمد ويسلك ولا يصح أن يتفق مثله إلاّ من الشعراء... لأنّه لو صح أن يسمى كل من اعترض في كلامه ألفاظا تتزن بوزن الشعر، أو تنتظم انتظام الأعاريض كان النّاس كلهم شعراء)[20]. ثمّ يواصل سرد وجهة نظره حول الموضوع فيقول:(فأمّا الشعر إذا بلغ الحدّ الذي بيناه، فلا يصح أن يقع إلاّ من قاصد إليه)[21]. إنّ ما يمكن قوله أنّ لكل نص بنية قصدية، فكما أنّ لكل فعل قصد فكذلك القول، ويكاد علماء العربية نقادا وبلاغيين أن يجمعوا على ضرورة أن يكون لقائل الشعر قصد لذلك.

هذا والكلام يطول عند"الإمام" في هذا الشأن، فالنصوص التي أوردناها على قلّتها بالغة الدلالة على أهمية القصد عند "الباقلاني" وبخاصة في القول الشعري. وعن قصره فعل القصد على الشعر دون غيره يعلق أحمد يوسف عن ذلك في معرض حديثه عن الفصاحة عند الإمام فيقول:(ومن ثمّ ليست الفصاحة مجرد الدلالة عمّا في النفس لأنّ الذي أصابته الحمى، قادر على أن يدل عمّا به، وكذلك المجنون، ولكن الفصاحة تتعدى ذلك، لتقع في دائرة القصد والاختيار للعبارات)[22]، ولعلّ هذا الكلام يبرر اهتمام "الباقلاني" بالشعر دون غيره من الأقاويل.

4.1.2- "علي بن خلف الكاتب"(427هـ):

ليست القصديّة ما يفرّق بين الإنسان والحيوان فقط، ولكنّها تعمل أيضا على التّفريق بين مقامات الخطابات وهذا ما نصّ عليه "علي بن خلف الكاتب" حين يقول :(ينبغي أن تكون الأدعيّة دالّة على مقاصد الكُتّاب، فإن كان في الهناء تأرّجت بعَرْفِه، وإن كان في العزاء كانت مشتقة من وصفه، وكذلك سائر فنون المكاتبات)[23]، [قصديّة الكاتب + مراعاة المقام] الخطاب(الأدعيّة)معنى ذلك أنّه يجب على الكاتب أن يماثل بين مقاصده -خاصّة فيما يتعلّق بالأدعيّة-وبين مقامات خطاباته حتّى يتسنّى له إنتاج نصّ محكم الأوصال يتقبله المتلقّي. كما لا يتوقف أمر القصديّة عند تحديد وجهة الخطاب وفق المقام، وإنّما يطول أيضا تركيب الألفاظ مع المعاني وارتباطهما معا على أنّ هذا الاتّصال اقتضى((بالتّواشج والاختلاط والتّمازج مراعاة الحال في تأليفهما وتنزيل ما تركّب منهما حسب منازل الأغراض الّتي تقع المخاطبة والمكاتبة فيها))[24]، فبعد أن يستبين الكاتب والمخاطب غرضه ويحدّد مقصد كتابه يعمد إلى ترتيب الألفاظ والمعاني وفقها، من ثمّ كان المعنى عند "علي بن خلف الكاتب"(ما يمكن أن يدل النّفس ويدلّ عليه. وأصله القصد إذا كان مصدرا. ولكنّه كثر حتّى صار مستعملا في كلّ ما يصحّ أن يقصد)[25]، ما نتبيّنه من قول النّاقد أنّ المعاني كانت دالّة على الضّمائر الّتي تنبئ عن المقصد، وبعد أن تداول استعمالها صارت المعاني مقاصدا في حدّ ذاتها.

ما يستقرّ عليه الذّهن المتمعّن والباحث في المدونات التّراثيّة النّقدية البلاغيّة، يقف عيانا على حقيقة أنّ علماءنا قد جعلوا النّص وسيطا بين الكاتب والقارئ، كون أنّ النّص ينتمي لصاحبه من خلال فرض سلطة مقاصده عليه، ثمّ بعد ذلك هو ملك للمتلقّي من خلال مقاسمته للأديب وجهات نظره وتأويله لمقاصده، وعلى هذا الأساس جعل "علي بن خلف الكاتب"(حصول العلم بالغرض من الأهمّيّة بمكان، لأنّه يسهّل على الرّاغبين المشقّة في الوصول إلى الغاية)[26]، حتّى لا يقع القارئ في سوء فهم المقاصد مجانبة في ذلك للتّأويل الخاطئ.

5.1.2- "ابن رشيق القيرواني" (456هـ):

ليس ببعيد عمّا قدّمه"الجاحظ"و"الباقلاّني" سابقا؛ نلتقي ب"ابن رشيق القيرواني"(456هـ) وهو يضع حدّا للشّعر على أنّه: قول موزون مقفّى خاضعة لمقصد الشّاعر قبل كلّ شيء وفي ذلك يقول:(الشّعر يقوم بعد النّيّة من أربعة أشياء، وهي:

اللّفظ، والوزن، والمعنى، والقافيّة، فهذا هو حدّ الشّعر؛ لأنّ من الكلام موزون مقفى وليس بشعر؛ لعدم القصد والنّيّة)[27]، فقبل أن يعمد الكاتب أو الشّاعر إلى تركيب ألفاظه وتأليف معانيه ووضع بعضها بمحاذاة بعض وجب عليه بداية تحديد القالب الذّي سيضع فيه قوله إن كان شعرا أو نثرا، فالنّية كما صرّح "ابن رشيق" سابقة للتّأليف. فمبنى الطّباع وموضوع الجبلّة النيّة في الفعل لذلك وضع ناقدنا المعرفة بعلم مقاصد القول من الأمور اللّازمة لقول الشّعر.

يوّضح"ابن رشيق" في موضع آخر رؤاه حول الموضوع على أنّ القصد والنيّة تسبق القول وعلى أساسها يقوم المتكلّم بترتيب معانيه في نفسه وضبط ألفاظه في ذهنه، وعليه وجب أن((يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا، وقريبا معروفا: إمّا عند الخاصة إن كنت للخاصّة قصدت، وإمّا للعامّة إن كنت للعامّة أردت))[28]، فليس الأمر-قصد المؤلف- متوقّف عند تحديد نوع النّص وإنّما يتعدّاه إلى لغة التّعبير ومتلقّي النّص والّذي يقصده الشّاعر بخطابه. ليبقى النّص خاضعا لمقصد الشّاعر عند "ابن رشيق" والذي فيه يختلف النّاس فمقاصد أهل البدو ليست كمقاصد أهل الحضر[29].

6.1.2- "ابن سنان الخفاجي" (466هـ):

من بين اللّطائف التّراثية الموضّحة لفعل القصد ندرج ما ذكره "ابن سنان الخفاجي"(466هـ) حيث يقول:(أمّا الغرض فبحسب الكلام المؤلّف، فإن كان مدحا كان الغرض به قولا ينبئ عن عظم حال الممدوح، وإن كان هجوا فبالضّد وعلى هذا القياس كل ما يؤلّف)[30]، فالنّص عبارة عن متواليات من الجمل يتحكّم المؤلّف بالعلاقات الداخليّة الّتي تحيلها إلى بنية متماسكة اتساقا وانسجاما، مع العلم أنّ المؤلّف قد يحدث تغييرات على مستوى البُنى قصد التّأثير في المتلقي، وبذلك يمكن لنا القول أنّ هذه البنية اللّغوية تستقي روحها من مقاصد المؤلّف، معنى ذلك أنّ اللّغة تابعة لرؤى الكاتب وغاياته.

يبقى قصد المؤلّف الفيصل الرّئيس بين فنون الأقوال والنّصوص ودليل ذلك ما أورده "الخفاجي" عن "إبراهيم بن محمّد" في فضل البيان والبلاغة فيقول:(يكفي من حظ البلاغة ألّا يؤتى السّامع من سوء إفهام النّاطق، ولا النّاطق من سوء فهم السّامع)[31]، على الرّغم من أنّ النّاقد في هذا القول يتحدّث عن سوء الفهم والإفهام إلّا أنّ جماع الأمر متوقف على النّاطق وقصديته، فما يحدث من سوء الفهم لدى المتلقي راجع إلى تعميّة متواجدة في النّص الّذي أنتجه النّاص في حدّ ذاته. لذلك وفي موطن آخر يجعل الغرض سابقا للكلام، فالمتكلّم يحدّد وجهته وقصده ثمّ يناسب كلامه للغرض المنشود، فليس الغاية من العمليّة الكلامُ في حدّ ذاته، لأنّ(الكلام غير مقصود في نفسه، وإنّما أُحتيج إليه ليعبّر النّاس عن أغراضهم، ويُفهِموا المعاني الّتي في نفوسهم، فإذا كانت الألفاظ غير دالّة على المعاني ولا موضّحة لها، فقد رفض الغرض في أصل الكلام)[32]، يمكن أن نستشف من هذا القول ثلاث نقاط أساسية تحيل إلى تحليل النّص: تعبير الناس عن أغراضهم، ثم الألفاظ الحاملة للمعاني، ثم الدلالة على المقصد.

2.2- الابتداءات وفعل القصديّة:

وفقا لما تقدّم أصبح مقرّرا أنّه لكلّ نصّ مهما كان نظما من الشّعر أو نثرا من الخطب، فإنّه يحمل في ثناياه فعلا قصديا متعلّقا بالأديب، وهذا الفعل يقوم بتحريك أجزاء النّص بدءا من بنيته الصغرى وصولا إلى بنيته العليا ومن بداياته إلى نهاياته، حاملا مستقبل النّص على البحث عن هذا القصد حتّى يتسنّى له فكّ شفرة النّص وتأويله تأويلا صحيحا وفق غائيّة المؤلّف، والّتي يمكن أن يبثها هو الأخير في أيّ جزء من أجزاء نصّه.

وعليه نقول أنّ الابتداء أو فاتحة القول هي أولى عناصر النّص الّتي يقع عليها نظر القارئ، أو هي أوّل ما يطرأ أذن السّامع لذلك فعلماء العرب أولوا كبير العناية بالابتداء سواء فيما تعلّق بحسن تأليفها وصحّة تركيبها، أو حتّى فيما تعلّق بالغرض الّذي يتضمّنه النّص كاملا، وما أورده "الجاحظ" عن "شبيب"فيه دلالة على ما سبق ذكره، حيث يقول:(النّاس موكلون بتفضيل الابتداء، وبمدح صاحبه، وأنا موكل بتفضيل جودة المطلع وبمدح صاحبه)[35]، ومن الأولى أن يجعل المتكلّم/المؤلّف أوّل كلامه دالّا على مقصده، وهذا ما يحمله قول ابن المقفع في تفسيره للبلاغة.

لا يغفل نقادنا القدامى التّنويه بأهميّة حدوث التّواصل بين المبدع والمتلقّي مهما كانت غاية المبدع، وعليه وجب أن يسعى لتحقيق هذا الهدف بجعل كلامه واضحا بيّنا(فأخفّ الكلام على النّاطق مئونة، وأسهله على السّامع محملا، ما فُهم عن ابتدائه مراد قائله، وأبان قليله، ووضح دليله)[36]، فالإبانة عن الغرض المقصود تسهّل على المتلقّي الوصول إلى المعنى. ولهذا يطالب "العسكري" من المتكلّم بأن يجعل صدر كلامه دليل على حاجته، فإنّه لا خير في كلام لا يدلّ على معناه، ولا يشير إلى مغزاه، وإلى العمود الّذي إليه قصد، والغرض الّذي إليه نزع[37]، فمدار الأمر كما يؤكّده الجاحظ في كذا موضع من كتابه "البيان والتبيين" هو حصول الفهم والإفهام، وأسهل الطرق إلى ذلك أن يتبيّن المتلقّي الغرض والمغزى الّذي يرومه الكاتب/ المتكلّم بداية من صدر الكلام.

إنّ النّص الأدبي وأثناء عملية خَلقِه تؤطّره تصوّرات الكاتب والّتي ينبني وفقأُسسها، فما يقع في النّص من خرق للأنظمة اللّغوية أو تغيير في المعاني إنّما هو عن قصد من الكاتب. وفي الوقت نفسه، النّص ليس وعاءا يحمل في ثناياه أفكارا وعبارات ذات دلالة كامنة فيه، بل يتخطّى الأمر ليكون حاملا لنيّة مُنشِئ النّص في أن يوصل هذه الدّلالة والنّيّة للمتلقي، ولهذا وجب عليه أن يختار أنسب طريقة لتوصيل مغزاه، ((قال بعضهم: ليس يحمد من القائل أن يعمى معرفة مغزاه على السّامع لكلامه في أول ابتدائه، حتّى ينتهي إلى آخره، بل الأحسن أن يكون في صدر كلامه دليل على حاجته مبيّن لمغزاه ومقصده؛ كما أنّ خير أبيات الشّعر ما إذا سمعت صدره عرفت قافيته)[38]، فقد يتقصّد الكاتب إخفاء مقاصده عن المتلقي إلى آخر النّص على اعتبار أنّها تسهم في جذب المتلقّي ليتتبع المعنى ويتمكن من فهم غاية صاحب النّص، إلّا أنّ هذا الضرب من القول فيه تعميّة للمتلقي من وجهة نظر علماء العرب القدامى وهذه الأخيرة من الأمور المشتبهات الّتي تضعف بلاغة الخطيب.

ولا مندوحة من أن نقول أنّ الحقيقة الّتي يمكن لنا أن نقف عليها هي أنّ الابتداء عمود بناء النّص لذلك وجب أن يتضمن قصد المتكلّم/المؤلّف، وهذا ما دأبت عليه العرب في كتاباتها، واكتنفته في نقودها، فلا تخلو مدوّنة إلّا وتكون فيها إشارة إلى فعل القصد ومدى فاعليته في تشكّل النّص، وقد يتخطّى الأمر مجرّد النّظرات والإشارات الطّفيفة ليرتقي إلى أن يكون عملا مؤسّسا ودقيقا، فما نلفيه لدى "ابن طباطبا العلوي" أكبر دليل على العمل المقنّن في هذا الصّدد حيث يقول :(ومن أحسن المعاني والحكايات وأشدّها استفزازا لمن يسمعها، الابتداء بذكر ما يعلم له إلى أيّ معنى يساق القول فيه قبل استتمامه، وقبل توسّط العبارة عنه)[38]، لم يكتفي النّاقد بالإشارة على أنّ من أحسن تراكيب القول أن يتضمّن الابتداء الإشارة إلى قصد المؤلّف، إذ بيّن الغرض والمبتغى من هذا التّأليف على أنّه استفزاز للمتلقّي وتنشيط ذهنه. والمنحى نفسه ينحوه "أبو علي الحاتمي"حيث يوجب على الشّاعر :(أن يجعل افتتاح كلامه أحسن ما يستطيع لفظا ومعنى، يبتدئ قصيدته بما شاكل المعنى الّذي قصد له)[39].

ما لبثت أن أصبحت محاسن الابتداءات في تضمّنها لمقصد الشّاعر وغرضه، شرعة وسنة لا يمكن لناقد إلّا مواردتها، ويمكن أن نستوضح ذلك مع ما أفرده"ابن سنان الخفاجي" مع التّمثيل حيث يقول:(الابتداء دالّا على المعنى، كما ابتدأ أبو الطيّب المتنبي قصيدته الّتي مدح فيها سيف الدّولة، واعتذر له عن ظفر الرّوم بجيشه وقتلهم وأسرهم جماعة منهم فقال:

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاس يَنْخَدِع ***** إِنْ قَاتَلُوا جَبَنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجَعُوا

فبدأ بغرضه من أوّل القصيدة)[40]، وهذا ما اصطلح عليه بالقانون الدّلالي الجوهريالّذي يحكم علاقة المبدأ بما بعده[41].

أمّا "ابن الأثير" فقبل أن يتحدّث عن الابتداء في القصائد أسبق الأمر بالحديث عن الكتابة وطرق تأليفها، وقد جعل الكشف عن المقصد في مطلع الكتاب أوّل ركن يستجلب رعاية الكاتب في التّأليف، –وهذا راجع إلى طبيعة وظيفة النّاقد كونه شغل منصب المكاتبات–فيقول: (أن يكون مطلع الكتاب عليه جدّة ورشاقة، فإنّ الكاتب من أجاد المطلع والمقطع، أو يكون مبنيّا على مقصد الكتاب)[42]، ركّز النّاقد في قوله على أن يكون مطلع الكتاب أحسن ما يكون مبنيّا على غايتين:

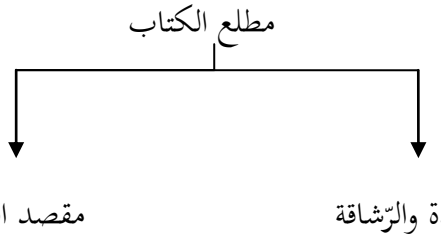

لم يجمع "ابن الأثير" في تركيب المطلع الأمرين –الجدّة والرّشاقة ومقصد الكاتب– فقد جعلهما على الخيار يختار الكاتب منهما أيّا شاء، مع العلم أنّ كلا الأمرين يميّز المطلع عن غيره فليس كلّ تراكيب الألفاظ والمعاني تتشابه ولا كلّ مقاصد الكتّاب تتطابق.

أمّا فيما يتعلّق ببدايات القصائد والرّسائل فقد فصّل فيها النّاقد وجهة نظره أكثر حيث يقول: (وحقيقة هذا النّوع أن يجعل مطلع الكلام من الشّعر أو الرّسائل دالّا على المعنى المقصود من هذا الكلام: إن كان فتحا ففتح، وإن كان هناء فهناء، أو عزاء فعزاء. وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني. وفائدته أن يعرف من مبدأ الكلام ما المراد به، ولم هذا النّوع)[43]، يبدو جليّا أنّ ابن الأثير يُعمِل مبدأ المناسبة بين الابتداءات والمقاصد أوّلا لما تخلقه من تماسك بين أجزاء النّص، وثانيا تجعل القول يتطابق مع العالم الخارجي من حيث أنّ لكلّ ناصّ مقصد وهذا المقصد يحمل رؤاه حول العالم، من ثمّ وجب عليه أن يبينها حتّى تكون واضحة المعالم للمتلقّي.

وحتّى يكون الأمر جليّا يضرب لنا "ابن الأثير" أمثلة عن سوء الإخلال بهذا الضّرب من فنون الكلام/الخطابة، كأن يتضمّن كتاب الفتح التّحميد كما فعل أبو إسحاق الصّابي في إحدى مكاتباته السّلطانيّة والّذي كان عن فتح بغداد وهزيمة الأتراك عنها، وكان فتحا عظيما يقول فيه: (الحمد لله ربّ العالمين، الملك الحق المبين، الوحيد الفريد، العليّ المجيد، الّذي لا يوصف إلّا بسلب الصّفات ولا ينعت إلّا برفع النّعوت، الأزلي بلا انتهاء...الخ. وعنه يعلّق ابن الأثير قائلا: وهذه التّحميدة لا تناسب الكتاب الّذي افتتح بها، ولكنّها تصلح أن توضع في صدر مصنّف من مصنّفات أصول الدّين...وأمّا أن توضع في صدر كتاب فتح فلا)[44]، فمخالفة الابتداء للغرض المقصود يخلق اضطرابا داخل النّص وهذا الأخير يكون سببا في نفور المتلقي وعزوفه عن استقبال النّص خاصّة إذا تعلّق الأمر بالطّبقة الخّاصّة العارفة بأسرار البلاغة وخبايا الكلام.

في حين أنّ النّظرة العلويّة تجعل هذا الفصل من الكلام أسّا من أسس البلاغة وعليه يكون قيامها، لذلك يقول العلوي:(اعلم أنّ هذا الفصل ركن من أركان البلاغة، وحقيقة آئلة إلى أنّه ينبغي لكلّ من تصدّى لمقصد من المقاصد وأراد شرحه بكلام أن يكون مفتتح كلامه ملائما لذلك المقصد دالّا عليه، فما هذا حاله يجب مراعاته في النّظم والنّثر جميعا، ويستحبّ التزامه في الخطب والرّسائل والتّصانيف)[45]، ولأهمّيّة المسألة ربطها "العلوي" بالبلاغة وجعلها من مقوماتها، ذلك أن الغرض الّذي تقوم عليه البلاغة هو إيصال المعنى إلى قلب السّامع حتّى يفهمه.

لا يُقتصَر حسن الابتداء في القصائد فقط، وإنّما هي من خواص النّثر أيضا، وهذا ما أكّده "شهاب الدّين الحلبي"(775هـ) في قوله:(أن يأتي النّاظم أو النّاثر في ابتداء كلامه ببيّنة أو قرينة تدلّ على مراده في القصيدة أو الرّسالة، أو معظم مراده، والكاتب أشدّ ضرورة إلى ذلك من غيره ليبني كلامه على نسق واحد دلّ عليه من أوّل وهلة وعُلِم بها مقصده)[46]، لقد ذهب "الشيخ الحلبي" مذهب سابقيه في إقراره بضرورة الإفصاح عن الغرض المقصود وإبانة التّوجه العام للنّص من بدايته، حتّى وإن اكتفى المتكلّم بالإشارات والتّلميحات عن ذلك بالقرائن، وقد خصّ هذا الغرض بالكتّاب أكثر من غيرهم وقد يرجع ذلك لأنّ الكتاب أصحاب مهام وحبل وصل بين المرسل والمرسل إليه، وليس الغرض من كتاباتهم التّرويح عن النّفس فسمة الكتاب الاختصار، وانضواء الغرض المقصود، وتبيان الموضوع.

3.2- المعنى المبهم وفعل القصديّة:

إنّ المتفحّص لما جاء في المدونات التّراثيّة يدرك مدى العناية الّتي حضي بها الابتداء في تكوين النّص الأدبي والّذي منبع نتاجه قصد المؤلّف، وكما توضّح لدينا سابقا فإنّ أغلب آراء النّقاد القدامى تجمع على أنّه من أُوليات التّأليف أن يتضمّن المطلع مقصد المبدع ويبنى على معنى واضح وتام، إلّا أنّه هناك من شذّ عن القاعدة فيما يتعلّق بوضوح المعنى ودعى إلى غموضه تشويقا للقارئ. سنورد في هذا الجزء بعضا من هذه النظرات على سبيل المثال لا الحصر ودونما تحيّز أو تخيّر، فالغاية المرجوة هي الوقوف على آليات القراءة التّراثيّة في تحليلها للنّص الأدبي من منظور لسانيات النّص.

يقع غموض المعنى بين النّزعتين: نزعة تحبّذ الإبهام وتميل إليه، ونزعة ترفضه وتأباه، وهاهو"أبو هلال العسكري" يعرض في كتابه الموقفين، ففي حديثه عن الإبهام يورد قولا لشبيب بن شبّة وفيه يقول:(لم أر متكلّما أذكر لما عقد عليه كلامه، ولا أحفظ لما سلف من نطقه من خالد بن صفوان، يُشبع المعقود بالمعاني الّتي يصعب الخروج منها إلى غيرها، ثمّ يأتي بالمحلول واضحا، بيّنا مشروحا منورا، وكان السّامع لا يعرف مغزاه ومقصده، في أوّل كلامه حتّى يصير إلى آخره)[47]، وكما سبق الذّكر فإنّ هذا الضرب من التّعبير يشحذ ذهن السامع، وتتّقد به قريحته، ويستدعي إعمال فكره حتّى يبقى في تواصل مع المتكلّم ليتمكّن في نهاية المطاف من إدراك المعنى ومعرفة الغاية.

لقد ذهب "الباقلّاني" إلى أبعد ممّا ورد سابقا، إذ أنّه نصّ على أنّ الإبهام قديرد على سبيل التّوضيح لبعض الفئات، وفي ذلك يقول: (وهذه طريقة من ينصف في الاختيار، ولا يعدل به غرض يخص، لأنّ الذين اختاروا الغريب فإنّما اختاروه لغرض لهم في تفسير ما يشتبه على غيرهم، وإظهار التقدم في معرفته، وعجز غيرهم عنه، ولم يكن قصدهم جيّد الأشعار لشيء يرجع إليها في أنفسها)[48]. وبناء على هذا يصرح بأن غاية الكلام التي وضع لها في الأصل إنّما هي الإبانة عن الأغراض التي في النفوس مهما كان النّهج الّذي ينتهجه المتكلّم/المؤلف[49].ليكون النتاج الأدبي(النّص) مرآة تعكس ما يجول في النفس، بالطّريقة الّتي يراها الكاتب ملائمة بحيث تعرض أفكاره بنسق واضح، وتمكّنه من مقاصده.

من ناحية أخرى نجد"ابن رشيق القيرواني" قد أتى على ذكر رواية عن أبي نوّاس يمكن أن نستبين من ورائها أنّ الوصول إلى تأويل النّص والوقوف على قصد المؤلّف دونما إشارة منه، أو استعانة بالقرائن ليس بالأمر الهيّن؛ وقد جاء في ثنايا هذه الرّواية أنّ (بعض بني برمك بنى دارا استفرغ فيها مجهوده، وانتقل إليها، فصنع أبو نوّاس في ذلك الحين أو قريبا منه قصيدة يمدحه بها يقول أوّلها:

أَرَبْعَ البِلِىَ، أَنَّ الخُشُوعَ لَبَاد ***** عَلَيْكَ، وَإِنِّي لَمْ أَخُنْكَ وِدَادِي

وختمها أو كاد بقوله:

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا فَقَدْتُمْ ***** بَنِي بَرْمَكٍ مَنْ رَائِحين وَغَادِي

فتطيّر منه البرمكيّ، واشمأز حتّى كلح وظهرت الوجمة عليه ثمّ قال: عيت إلينا أنفسنا يا أبا نوّاس، فما هي إلّا مُدَيْدة حتّى أوقع بهم الرّشيد وصحّت الطيرة...وزعم قوم أنّ أبا نوّاس قصد التّشاؤم لهم لشيء كان في نفسه من جعفر، ولا أظنّ ذلك صحيحا؛ لأنّ القصيدة من جيّد شعره الّذي لا أشكّ أن يحتفل له، اللّهمّ إلّا أن يصنع ذلك حيلة منه، وسترا على ما قصد إليه بذلك)[50]. لم يصدر "ابن رشيق القيرواني حكما نهائيا في حقّ قول "أبي نوّاس" إذا ما كان قاصدا التّشاؤم أم لا ؟ وهذا ضرب من القصد في حجب المعنى عن المتلقي وإبهامه، وقد ترك النّاقد الباب مفتوحا أمام القارئ حول قصديّة المبدع في تعميّة المعنى.

مستخلص القول أنّ "ابن رشيق القيرواني" لم يكن مناصرا لغموض المعنى الّذي يقع في الابتداء، وعلى الخلاف تماما ما جادت به تنظيرات "ابن طباطبا العلوي" حيث ينصّ قائلا :(الابتداء بذكر ما يعلم له إلى أيّ معنى يساق القول فيه قبل استتمامه، وقبل توسّط العبارة عنه، والتّعريض الخفيّ الّذي يكون بخفائه أبلغ في معناه من التّصريح الظّاهر الّذي لا ستر دونه. فموقع هذين عند الفهم كموقع البشرى عند صاحبها لثقة الفهم بحلاوة ما يرد عليه من معناهما)[51]، يظهر جليّا من النّص السابق أنّ موقف النّاقد حيال الموضوع يبرز في ثلاث نقاط وهي:

1- تقريره لمبدأ وضوح المعنى والمقصد قبل نهاية القول أو توسطه.

2- تفضيله للمعنى الخفي.

3- توضيح الأثر الّذي يتركه كلّ من المعنى الواضح والمبهم في نفس المتلقي، مع ترك الخيار لقصديّة المؤلّف.

أمّا من وجهة نظر"ابن أبي الأصبع" فإنّ المتكلّم في نظره يعمد إلى غموض المعنى قصدا من خلال إيراد كلام يحمل معنيين، معنى ذلك:(أن يقول المتكلّم كلاما يحتمل معنيين متضادّين، لا يتميّز أحدهما عن الآخر، ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التّمييز فيما بعد ذلك، بل يقصد إبهام الأمر فيهما قصدا)[52]. وهذا فيه ضرب من التّعميّة إذ لا يمكن لأيّ متلقّ أن يصل إلى معرفة المعنى المطلوب، وهذا ما يحيل به إلى سوء التّأويل.

جملة القول في هذا المبحث، أنّ القصديّة كمعيار ألسني نصّي تحقّق قيامه داخل المدونة التّراثيّة العربيّة، وإحاطة علماء العربيّة القدامى بالظّاهرة من كلّ جوانبها أكبر دليل على ذلك، فهم ربطوا فعل القصد ببدايات التّكون الممكن للنّص، ثمّ انتقلوا إلى الفعلي ودرسوا علاقة انتظام النّص تركيبيا ودلاليا بغايات المؤلّف وأغراضه، كما أوشجوا استهلالات النّصوص الأدبيّة وتخلّصاتها ومخارجها بمقاصد منشئ النّص، منوّهين بذلك على أنّ المحرّك الأساسي لهذا الفعل هو المتلقي الضّمني.

3. خاتمة :

نستطيع أن نقف في الأخير على أهمّ النقاط المرصودة في هذا العمل البحثي، الذي حاول استقراء الجهود التراثية العربية في إعادة إحياء المتلقي والعلاقة القائمة بينه وبين النّاص، باعتباره منتجا فعليا للخطاب، ثم كيف يتسنى له ملاحظة ما يدور في فلك القصد المفضي إلى نتائج معينة في حين يشير المقام والمقبولية إلى القرائن التي يدور في جوها النمط العام للخطاب.

- قصد المؤلّف الفيصل الرّئيس بين فنون الأقوال والنّصوص عند "الخفاجي".
- الغرض بحسب الكلام المؤلّف عند "ابن سنان الخفاجي".
- الكلام غير مقصود في نفسه، وإنّما أُحتيج إليه ليعبّر النّاس عن أغراضهم، ويُفهِموا المعاني الّتي في نفوسهم.
- يجب على الكاتب أن يماثل بين مقاصده –خاصّة فيما يتعلّق بالأدعيّة–وبين مقامات خطاباته.
- بعد أن يستبين الكاتب والمخاطب غرضه ويحدّد مقصد كتابه، يعمد إلى ترتيب الألفاظ والمعاني وفقها.
- ينبني التّفاعل بين عناصر التّواصل الثّلاثة: الكاتب والقارئ والنّص.
- يكون النّص متعلّقا بعمليتين: العمليّة الإنتاجيّة للمؤلّف والعمليّة التّأويليّة الخاصّة بالقارئ، فهذه الأخيرة تسنح للقارئ بأن يعيد بناء النّص.
- المؤلّف ينتج النّص ويكون مسؤولا عمّا يحمله هذا النّص من أهداف وغايات. أمّا الجمهور فهم القرّاء المستهدفون.

القراءة كتابة ثانية للنّص أو هي إعادة صياغته وتركيبه وفق رؤى القارئ، والكتابة قراءة ولكن بطريقة أخرى.

4. المصادر والمراجع:

1. ابن جنّي، الخصائص، تح: عليّ النّجار، دار الهدى للنّشر، بيروت، ج01.
2. ابن طباطبا العلويّ، عيّار الشّعر، ، تح: عباس عبد الستّار، مر: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط02، 2005 .
3. أبو العبّاس أحمد بن يحي ثعلب، قواعد الشّعر، تح: رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط02، 1995.
4. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط07، 1998ج01.
5. أبو علي الحاتمي، الرّسالة الموضّحة في ذكر سرقات أبي الطيّب المتنبي وساقط شعره، تح: محمد يوسف نجم، دار صادر/دار بيروت للطّباعة والنّشر، بيروت، 1965.
6. أبوعلي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشّعر وآدابه، ونقده، تح: محمد محيّي الدّين عبد الحميد، دار الجيل، سوريا، ط05، 1981، ج01.
7. أحمد بن فارس، الصّاحبي في فقه اللّغة، تح وتع: مصطفى الشّويمي، مؤسسة بدران للطّباعة والنّشر، بيروت، 1963.
8. أحمد يوسف علي، قراءة النص دراسة في الموروث النقدي،، الدار العربية للعلوم، لبنان، بيروت، ط01، 2007.
9. الباقلاّني، إعجاز القرآن،، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، دط، دت.
10. بوزيد صالحة، إشكاليّة القصديّة في الممارسة النّقديّة، رسالة ماجستير، إشراف: هواري بلقاسم، جامعة وهران، الموسم الجامعي: 2008-2009.
11. رولان بارث، الأدب بلاغة، اللّغة والخطاب الأدبي، تر: سعيد الغانمي، المركز الثّقافي العربي، بيروت، 1993.

12. شهاب الدّين محمود الحلبي، حسن التّوسل إلى صناعة التّرسل، تح: أكرم عثمان يوسف، دار الرّشيد للنشر، سلسلة كتب التّراث، وزارة الثّقافة والإعلام، العراق، 1979.

13. صلاح إسماعيل، فلسفة العقل دراسة في فلسفة سيرل، دار قباء للنشر، القاهرة، 2007.

14. العسكري، الصناعتين،، تح: علي محمد التجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1986/ دار إحياء الكتب العربية، ط01، 1952.

15. قدامة بن جعفر، نقد الشّعر،، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلميّة، لبنان، دط، دت.

16. منذر عيّاشي، الكتابة الثّانية وفاتحة المتعة، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط01، 1998.

17. موسى إبراهيم الإبراهيم، المدخل إلى أصول الفقه وتاريخ التّشريع،شركة الشّهاب، الجزائر، 1989، ص81.

18. ميشال هوي، التّفاعل النّصي، مقدّمة لتحليل الخطاب المكتوب، تر: ناصر بن عبد الله بن غالي.

5. قائمة الإحالات:

1 – منذر عيّاشي، الكتابة الثّانية وفاتحة المتعة، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط01، 1998، ص05. بتصرّف.

2– ميشال هوي، التّفاعل النّصي، مقدّمة لتحليل الخطاب المكتوب، تر: ناصر بن عبد الله بن غالي، ص33.

3 – رولان بارث، الأدب بلاغة، اللّغة والخطاب الأدبي، تر: سعيد الغانمي، المركز الثّقافي العربي، بيروت، 1993، ص57.

4– ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري، ص120.

5 – منذر عيّاشي، الكتابة الثّانيّة وفاتحة المتعة، ص157–158.

* – يفرّق الباحث "ميشال هوي"Michael Hoey بين الجمهور وهم القرّاء الضّمنيون الّذين يقبعون في مخيّلة الكاتب أي هم من خلق الكاتب، في حين أنّ القارئ هو الشّخص الحقيقي الّذي يتعاطى النّص ويتعامل معه. وقد يتجاوب بصورة أقرب لتلك الّتي في ذهن الكاتب، وقد يكون أكثر تشعّبا واتّساعا، ولطالما كان للمؤلّف أناس أبعد مدى يخاطبهم بنصوصه. ينظر: ميشال هوي، المصدر السابق، ص38.

6– المرجع نفسه، ص37. بتصرّف.

* – درج القصد كمفهوم ومصطلح في مدونات الأصوليين وعلماء الفلسفة المسلمين، ويرجع اهتمام الأصوليين بهذا المصطلح كون الشّريعة الإسلاميّة شريعة مقاصد من ثمّ فإنّها تجعل النّيّة أساس العمل لقوله صلّى الله عليه وسلّم:(إنّما الأعمال بالنيّات)، ومن المسائل الّتي كانت السبب الرئيس في بزوغ المصطلح واستواء عوده لدى الأصوليين مسألة البحث في أصل الكلام ونشأته، والّتي كانت مثار خلاف بين المعتزلة وخصومهم الأشاعرة، وجرّاء ذلك تبلور مفهوم القصد ومن خلاله مفهوم القصديّة، ومكمن الخلاف أنّ المعتزلة وعلى رأسهم القاضي عبد الجبّار(415هـ) اشترط في الدّلالة الشّرعيّة واللّغويّة القصد زيادة على شرط المواضعة الّذي اكتفى به الأشاعرة، والذي لا تكمن معرفته إلّا بدلالة الكلام. ينظر: بوزيد صالحة، إشكاليّة القصديّة في الممارسة النّقديّة، رسالة ماجستير، إشراف: هواري بلقاسم، جامعة وهران، الموسم الجامعي: 2008–200–، ص54–55. كما وجّه الأصوليون عنايتهم إلى معرفة قصد المخاطَب وتحديد مرماه وأفردوا لذلك أبوابا في بحوثهم تناولوا فيها قصد الشّارع وقصد الخطاب في عمومه،/ وكان الهدف من ذلك أن لا تتصادم الفتوى بمعنى من كتاب الله عزّوجل أو تتعارض مع سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أو تناقض مقصدا من مقاصد الشّريعة الّتي تهدف إلى إقرار العدل بما يساير المصلحة العامّة. فالقصد عند الأصوليين سمة جوهريّة ربطوها بخطاب الشّارع وأحكام الشّريعة. ينظر: موسى إبراهيم الإبراهيم، المدخل إلى أصول الفقه وتاريخ التّشريع،شركة الشّهاب، الجزائر، 1989، ص81.

أمّا عن القصديّة عند الفلاسفة المسلمين فقد فرّقوا بين المقاصد الأولى والمقاصد الثّانيّة، فالمقاصد الأولى تعنى بالأشياء وملامحها خارج العقل، أ مّا المقاصد الثّانيّة فهي المفاهيم الّتي تتعلّق بالمقاصد الأولى. ومن خلال ما تقدّم يبدو تأثّر الفلاسفة العرب بما قدّمه أرسطو جليّا. ينظر: صلاح إسماعيل، فلسفة العقل دراسة في فلسفة سيرل، دار قباء للنشر، القاهرة، 2007، ص170.

7 – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط07، 1998ج01، 113ص.

8 – ابن جنّي، الخصائص، تح: عليّ النّجار، دار الهدى للنّشر، بيروت، ج01، ص33.

9 – أحمد بن فارس، الصّاحبي في فقه اللّغة، تح وتع: مصطفى الشّويمي، مؤسسة بدران للطّباعة والنّشر، بيروت، 1963، ص192.

10– المصدر نفسه، ص76.

11 – الجاحظ، السابق، ج01، ص106.

12- نفسه، ص289.

13 – قدامة بن جعفر، نقد الشّعر،، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلميّة، لبنان، دط، دت. ، ص91.

14 – المصدر نفسه، ص146.

15 – ابن طباطبا العلويّ، عيّار الشّعر، ، تح: عباس عبد الستّار، مر: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط02، 2005 ص11.

16 – ابن طباطبا، نفسه، ص24.

17 – العسكري، الصناعتين،، تح: علي محمد التجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1986/ دار إحياء الكتب العربية، ط01، 1952، ص08.

18 – الباقلاّني، إعجاز القرآن،، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، ص286 .

19- المصدر نفسه ، ص117.

20- نفسه، ص54.

21 – نفسه، ص55.

22- أحمد يوسف علي، قراءة النص دراسة في الموروث النقدي،، الدار العربية للعلوم، لبنان، بيروت، ط01، 2007. ص166.

23 – علي بن خلف الكاتب، موادّ البيان، ص335.

24 – المصدرنفسه، ص82.

25- نفسه، ص79.

26 – نفسه، ص19.

27 – أبوعلي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشّعر وآدابه، ونقده، تح: محمد محيّي الدّين عبد الحميد، دار الجيل، سوريا، ط05، 1981، ج01، ص119.

28 – المصدر نفسه ، ج01، ص213.

29 – ينظر: نفسه، ص225.

30 – ابن سنان الخفاجي، سرّ الفصاحة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط01، 1982،ص94.

31- المصدر نفسه، ص61.

32 – نفسه، ص.221

35- الجاحظ، البيان والتّبيين، المصدر السّابق، ج02، ص112.

36 – أبو العبّاس أحمد بن يحي ثعلب، قواعد الشّعر، تح: رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط02، 1995، ص72.

37– ينظر: العسكري، الصّناعتين، ص116.

38–المصدر نفسه، ص442.

39 – ابن طباطبا العلوي، عيار الشّعر، ص23.

40 – أبو علي الحاتمي، الرّسالة الموضّحة في ذكر سرقات أبي الطيّب المتنبي وساقط شعره، تح: محمد يوسف نجم، دار صادر/دار بيروت للطّباعة والنّشر، بيروت، 1965،ص67.

41 – ابن سنان الخفاجي، سرّ الفصاحة، ص270.

42- محمد العبد، النّص والخطاب والاتّصال، المرجع السابق، ص120.

43- ابن الأثير، المثل السّائر، ج01، ص96.

44 – المصدر نفسه، ج03، ص96، نقلا عن: محمد العبد، النّص والخطاب والاتصال، ص121.

45- ابن الأثير، المثل السّائر، ج03، ص109. نقلا عن: محمد العبد، المرجع السابق، ص122.

46 – العلوي، الطّراز،ج02، ص141.

47 – شهاب الدّين محمود الحلبي، حسن التّوسل إلى صناعة التّرسل، تح: أكرم عثمان يوسف، دار الرّشيد للنشر، سلسلة كتب التّراث، وزارة الثّقافة والإعلام، العراق، 1979، ص250-.251

48 – العسكري، الصناعتين، ص442.

49- أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن ، ص117.
50- ينظر: المصدر نفسه، ص117.
51 - ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشّعر، ج01، ص224.
52- ابن طباطبا العلوي، المصدر السّابق، ص23.
53- ابن أبي الأصبع المصري، المصدر السّابق،ص596.